



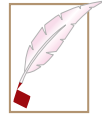
عبد العزيز ناصر

ذاكرة الخشبة

عبد العزيز ناصر

أعطى للوطن نبض روحه

رحل سريعاً.. وغلف أيامنا بالحزن.. عبد العزيز ناصر العبيدان.. من للحكايات؟ من للمناوشات؟ ولماواضيع شتى في الموسيقى والشعر والسير.. هل كان السنوي الذي رحل في غربة إجبارية؟



فمن ارتبط بالموسيقى لا يمكنه الفكك من أسرها، لأن هذا الإبداع يمثل له كل ملذات الحياة، وهي تكمل دورة الحياة بالنسبة إليه، لأن الموسيقى كانت جسره للخلود، هي الكون، وهي الأسرة والزوجة والأولاد.

ماذا لو ارتبط هذا المبدع الراحل بالزوجة والأطفال، هل كان بمقدوره أن ينجز كل هذه الأطر الإبداعية وأن يغوص في التراث، وأن يحمل لواء التجديد والتطوير، وأن يقدم للساحة بين حين وآخر نجوم لمعت في سماءنا؟

قليلون بل نادرين أولئك المبدعون ممن تركوا ملذات الحياة وأخلصوا للإبداع، وخلقوا جسراً للتواصل مع الذات أولاً، ومع الآخر ثانياً، وعاشوا في ذاكرة الوطن ثالثاً..

الآن وفي مناسبات عدة، نترنم بما حفره في ذاكرتنا نغمات لألحان ردها الشعب "أم الحنايا يدفوها على السيف.. كلها صبيان.. تجر المباديف".. أو تلك الأنغام التي نردها في مناسبة "القرنقوه".. وتظل "العائده" جواهر مرور ونحن نستقبل ليلة العيد.. أهانريج طورها، سواء لمناسبات خاصة أو دينية مثل النافلة والحية بية، وعشرات الألحان والأنغام التي ارتبطت بذاكرة الإنسان في هذا الوطن، وشكلت جزءاً من ترنيمة المنطقة بأسرها.

آه أيها الحزن.. يا من غلفت ما بقي من أيامنا بهذا القدر من القسوة.. من للأوتار الآن؟ وماذا يفعل من ينتظر لحنا يسجل حضوره في ذاكرة الأغنية القطرية هنا؟ رحلت.. لا.. مثلك لن يرحل.. لأنه يعيش في ذاكرة الوطن، وذاكرة الأغنية، والذاكرة الجمعية.

كيف يرحل إنسان أعطى هذا الوطن نبض روحه وقلبه؟ كان يعتصر أملاً، وكان يسلي ليلينا بكل ما يملك من حكمة الأيام، يناوش الأصدقاء في كل المجالات الإبداعية.. شعراً ونثراً..

صديق مرحلة الطفولة ومدارك خطوات الحياة عبد العزيز.. كان نقطة اللقاء دوماً عبر منزله العامر بالأحبة، وكنت أصطحب الرفاق، وكان يسعدني أن يكون منزله ملتقى أدبياً، ويشهد على هذا الصديق الشاعر عبدالله الحامدي.. كان الشاعر مذكر آل شافي مصراً على اللقاء ولكن المرحوم ترك هذه الدنيا الفانية وترك حسرة في نفوس الجميع، الآن أين الملتقى؟ أين يذهب بقية الصلابة بدءاً بناصر الجابر، عبدالله الجابر، إبراهيم الجيدة، خالد عبيدان، مرزوق بشير، جاسم الهيدوس، أحمد النووي، أحمد إبراهيم، عبدالرحمن علي، بل أين يلتقي الأساتذة لطرح مواضيع الفن والفكر والإبداع الإنساني، والمريدون في حالة الاستماع، أتحدث عن علي المناعي ومحمد الخليفي والمفكر الدكتور علي خليفة الكواري والشاعر الدكتور حسن النعمة والفنان إبراهيم حبيب، وعدد آخر منهم الشعراء والأدباء والفنانين.

أعود بالذاكرة سنوات وسنوات إلى الوراء في الأحياء القديمة، كان المجال المحدد لنشاطنا ألعاباً متواضعة (التيلة والقلينة والمطوع)، ثم بدأنا رحلة الكرة مع (كورة أم بوز)..

ولكن لماذا خرج هذا الإنسان عن السرب؟ ولماذا غرّد بعيداً؟ لماذا ارتقى سريعاً في أحضان الفن فيما بعد.. كيف ولماذا جرفه حب الفن؟ مع أن هذا النشاط الإبداعي كان الأبعد تأثيراً في حياتنا، بدءاً بخلو الواقع الدراسي منه، فلا المراحل الدراسية كانت تهتم بهذا الجانب، ولم يكن هناك دور لوسائل الإعلام كالصحافة والإذاعة والتلفزة، أتحدث عن عقد الستينيات من القرن الماضي، لماذا انجرف ذلك الطفل الصغير بكل كيانه إلى الإبداع في مجال الموسيقى مع خلو الساحة من هذا النشاط الإبداعي، إلا عبر ليالٍ للسمر هنا وهناك..

هل للجسرة كنقطة ارتكاز في العاصمة وملتقى كل الفرسان (الأحياء) دور في هذا؟ ماذا لو لم يحطم التابو وينجرف إلى حبه وعشقه؟ نعم،